تسع وثلاثين وستماية انتهى ٥ ونص الثاني ٥ هل لك يا سيدي ابا الحسن
في من له كل شاهد حسن ٥ في الشرف المنتقى له قدم ٥ اشتهى بالوصى والحسن
ايها الاخ الذي ملكته قيادي ٥ واسكنته فوادي ٥ عهدي بك تعتام الاداب النقية ٥ وتستاق
اللطايف المشرقية ٥ وتنصف فتري ان في سبيلنا لجفا ٥ وفي مغربنا جفا ٥ وان المحاسن نبت ارض ما بها
ولدنا ٥ وذرع واد ليس مما عهدنا ٥ وانا في هذا اسايلك وانا بعك ٥ وانا اصل من يناظرك ويبارز علك
وقد اتانا الله بحجة تقطع الحجج ٥ وتسكن اللهج ٥ وهو تشريف الاجل السيد المبارك نجم الدين بن مهذب
الدين نجل الدولة المختاره ٥ ونجم الدولة السياره ٥ جرى مع زعزع ونسيم ٥ ورتع في حميم وهشيم ٥ وشاهد
عجايب كل اقليم ٥ وشرق الي مطلع ابن جلا ٥ وغرب حتى نزل شاطي سلا ٥ وقد توجه الان الي حضرة
الامامة الرشيدية ايدها الله تعالى لينتهي من اصابع العدا الي العقد ٥ ويحصل من محض الحقيقة على
الزبد ٥ وقد علم انه ما كل الخطب كخطبة المنبر ٥ ولا جميع الايام مثل يوم الحج الاكبر ٥ ولا بد بلسيد
من نسبه افقه ٥ بل على شكل حسبه وخلقه ٥ فاذا ارايته شهدت بان الشرق قد اتحفه بغزارة ٥
بل رهانا بجملة افلاذه ٥ والحظ فيما يجب من بره وتانيسه ٥ انما هو في الحقيقة لجليسه ٥ فيا غبطة
من يتبق لجواره ٥ ويقتبس من انواره ٥ وانت لا محالة تنتهز فيهى ٥ وتتشيم من شيمه عارضا يري القلب
الهيم بهي ٥ وتضرب في الاخذ من فوايده وقلايده بسهم ووددت انه سهمي ٥ والسلام ٥ انتهى

ومنهم تقي الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين ابي العباس احمد بن الغرس الحنفي المصري
ذكر الوادي آشي فيه انه من اعيان مصر قال وسالته هل يقع بين اهل مصر تنازع في تفضيل بعض المذاهب
على بعض فاجابني ان هذا لا يقع عندهم بين اهل الرسوخ في العلم وذوي المعرفة والوهم وانما يصدر هذا بين
الاتباع قال والحنفية الظهور عليهم حتى يقولون لهم لنا عليكم اليد الطولى في الخبز لكونه بمصر يطبخ
في الفرن بأرواث الدواب وكذلك تسخين الماء فان المالكية وغيرهم بمصر يقلدون الحنفي في ذلك قال
وسالته حفظه الله تعالى هل للوبا بمصر وقت معلوم فقال لي جرت العادة عندهم بقدر الله وسره في خلقه
ان كل سنة اولها ثانية مثلثة يكون الوباء فيها والله اعلم وان هذا متعارف عندهم هكذا قال لي وعيب ما يقع
من بعض النقاد بتونس وما يصدر عنهم بكثرة من القائهم الاسيلة الغويصة في اصول الدين وغيرها
على من يرد عليهم قصدا في تعجيزه وتعنيته ثم قال ان من المنقول عن الامام ابي حنيفة رحمه الله تعالى انه من
حفظت عنه تسعة وتسعون خصلة تقتضي الكفر وواحدة تقتضي الايمان ان الواحدة المقتضية للايمان
تغلب وتبقى حرمتها عليه انتهى وقد ذكرنا في الباب الاول من هذا القسم حكاية المهري المغني القادم من
المشرق من البصرة على عبد الوهاب الحاجب بافريقية في دولة بني المعز بن باديس وسرد ما دخوله عليه في مجلس
انسه وما اتفق في ذلك له معه وانه وصف له بلاد الاندلس وحسنها وطيبها فارتحل المغني اليها ومات بها
حسبما لخصناه من كلام الكاتب ابن الرقيق الاديب المورخ في كتابه قطب السرور ولولا انه لم يسم المغني
المذكور لجعلنا له ترجمة في هذا الباب اذ هو به اليق والامر في ذلك سهل والله الموفق للصواب

ومنهم الولي الصالح العارف بالله سيدي يوسف الدمشقي رضي الله عنه وهو كما قال
ابن داود من كبار الاولياء شاذلي الطريقة قدم من المشرق الي الاندلس وكان ياتي مدينة وادي آش الكرة بعد
الكرة لزيارة معارف له بها وكان من الذين اخفاهم الله لا يعرف به الا من تعرف له اعاد الله علينا من بركاته
قال العلامة ابن داود حدثني مولاي والدي رضي الله عنه من لفظه بتلمسان امنها الله تعالى يوم الاثنين
لثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة خمس وتسعين وثمانماية قال دخل علي سنة شهر رمضان
المعظم في زمان ولايتي الخطابة والامامة بالمراص من خارج وادي آش اعادها الله تعالى فقعدت اول ليلة
منه متنزها بالمسجد الاعظم من الرباط المذكور بين العشايين وفكرت في ذكر اتخذه في هذا الشهر المبارك يكون
جامعا بين الدنيا والاخرة فاجمعت على حط العزم حلية النواوي لعلي اقف على اختاره لذلك فلما اصبحت
دخلت الي المدينة ولم اكن اطلعت على فكرتي احدا فلقيني الحاج الاستاذ ابو عبد الله بن خلف رحمه الله
تعالى في الطريق فقال لي سيدي يوسف الدمشقي يسلم عليك ويقول لك الذكر الذي تعمر به هذا
الشهر الفاضل اللهم ارزقني الزهد في الدنيا ونور قلبي بنور معرفتك قال لي والدي رضي الله عنه
وكان هذا سبب تعرفي له ولقايي اياه وكنت قبل ذلك منكرا عليه لكثرة الدعاوي في هذا الطريق نفع الله به
انتهى ولنجعل هذه الترجمة آخر هذا الباب تبركا بهذا الولي نفعنا الله ببركاته مع علمي بان الوافدين
من المشرق على الاندلس كثيرون جدا الا ان عدم المادة التي استعين بها في هذه البلاد تنبي غدرك ولو
اجتمعت على كتبي المخلفة بالمغرب لاتيت في ذلك بعزيز مما يشفي ويكفي وفي الاشارة ما يغني عن الكلام

الباب السابع في نبذ مما من الله به على اهل الاندلس من توقد الاذهان وبذلهم في اكتساب المعارف والمعالي ما عز وهان ٥ وحوزهم في ميدان البراعة خصل الرهان ٥ وجملة من اجوبتهم الدالة على لوذعيتهم ٥ واوصافهم المودنة بالمعيتهم ٥ وغير ذلك من احوالهم التي هي على فضلهم اوضح برهان ٥

اعلم ان فضل اهل الاندلس ظاهر كما ان حسن بلادهم باهر
ولذلك ذكر ابن غالب في فرحة الانفس لما اثنى على الاندلس واهلها ان بطليموس جعل لهم من
اجل ولاية الزهرة لبلادهم حسن الهمة في الملبس والمطعم والنظافة والطهارة والحب للهو والغناء
وتوليد اللحون من اجل ولاية عطارد حسن التدبير والحرص على طلب العلم وحب الحكمة والفلسفة والعدل

والانصاف وذكر ابن غالب ايضا ما خصوا به من تدبير المشتري والمريخ وانتقد عليه بعضهم بان اقاليم
الاندلس الرابع والخامس والسادس في ساحلها الشمالي والسابع في جزاير المجوس وللاقليم الشمس للخامس (الرابع)
الزهرة وللسادس عطارد وللسابع القمر والمشتري للاقليم الثاني والمريخ للثالث ولا مدخل لهما في الاندلس
ثم قال صاحب الزحمة واهل الاندلس عرب في الانساب والعزة والانفة وعلو الهمم وفصاحة الالسن
وطيب النفوس واباء الضيم وقلة احتمال الذل والسماحة بما في ايديهم والنزاهة عن الخضوع واتيان
الدنية هنديون في افراط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها وضبطهم لها وروايتهم بغداديون في ظرفهم ونظافتهم
ورقة اخلاقهم ونباهتهم وذكايهم وحسن نظرهم وجودة قرايحهم ولطافة اذهانهم وحدة افكارهم
ونفوذ خواطرهم يونانيون في استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الغراسات واختيارهم لاجناس الفواكه
وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسينهم للبساتين بانواع الخضر وصنوف الزهر فهم احكم الناس لاسباب الفلاحة
ومنهم ابن بصال صاحب كتاب الفلاحة الذي شهدت له التجربة بفضله وهم اصبر الناس على مطاولة
التعب في تجويد الاعمال ومقاساة النصب في تحسين الصنايع لحذق الناس بالفروسية وابصرهم بالطعن
والضرب وعد رحمه الله تعالى من فضايلهم اختراعهم الخطوط المخصوصة بهم قال وكان خطهم اولا
مشرقيا انتهى قال ابن سعيد اما اصول الخط المشرقي وما تجد له في اللحظ والقلب من القبول فمسلم له
لكن خط الاندلسي الذي رايته في مصاحف ابن غطوس الذي كان بشرق الاندلس وغيره من الخطوط
المنسوبة عندهم له حسن فايق ورونق لخذ بالعقل وترتيب يشهد لصاحبه بكثرة الصبر والتجويد
انتهى ونحو صدر كلام ابن غالب السابق مذكور في رسالة لابن حزم وقال فيها ان اهل الاندلس صينيون
في اتقان الصنايع العملية واحكام المهن الصورية تركيون في معاناة الحروب ومعالجات آلاتها والنظر
في مهماتها انتهى وعد ابن غالب من فضايلهم اختراعهم للموشحات التي قد استحسنها اهل المشرق
وصاروا ينزعون منزعها واما نظمهم ونثرهم فلا يخفى على من وقف عليهما علو طبقاتهم ثم قال ابن
غالب ولما نفذ قضاء الله على اهل الاندلس بخروج اكثرهم عنها في هذه الفتنة الاخيرة المبيرة تفرقوا
في بلاد المغرب الاقصى من بر العدوة مع بلاد افريقية فاما اهل البادية فمالوا في البوادي الى ما اعتادوه
وداخلوا اهلها وشاركوهم فيها فاستنبطوا المياه وغرسوا الاشجار واحدثوا الارحي الطاحنة بالماء
وغير ذلك وعلموهم اشياء لم يكونوا يعلمونها ولا راوها فشرفت بلادهم وصلحت امورهم وكثرت مستغلاتهم
وعمتهم الخيرات فهم اشبه الناس باليونانيين فيما ذكرت ولان اليونانيين سكنوا الاندلس فورثوا عنهم ذلك
واما اهل الحواضر فمالوا الي الحواضر واستوطنوها فاما اهل الادب فكان منهم الوزراء والكتاب والعمال
وجباة الاموال والمستعملون في امور المملكة ولا يستعمل بلدي ما وجد اندلسي واما اهل الصنايع فانهم فاقوا
اهل البلاد وقطعوا معاشهم واخملوا اعمالهم وصيروهم اتباعا لهم ومتصرفين بين ايديهم ومتى دخلوا في شغل عملوه
في اقرب مدة وافرغوا فيه من انواع الحذق والتجويد ما يميلون به النفوس اليهم ويصير الذكر لهم قال ولا يدفع هذا
الا جاهل او مبطل انتهى وقال ابن سعيد لما ذكر جملة من محاسن الاندلسيين يعلم الله اني ما اقصد الا
انصاف المنصفين الذين لا يميل بهم التعصب ولا يجنح بهم الهوى ولكن الحق احق ان يتبع فلعل منطلقا يقف
على ما ذكره ابن غالب فيقول تعصب هذا الرجل لاهل بلاده ثم يغشى التابع له والراضي بنقل قوله في هذه الصحيفة
ويحمل على ذلك بعده عن الارض ٥ ولو ابصر والليلى اقروا بحسنها ٥ وقالوا باني في الثناء مقصر ٥
ويكفي في الانصاف انا نقول ان حضرة مراكش هي بغداد المغرب وهي اعظم ما في بر العدوة واكثر مبانيها ومصانعها
الجليلة وبساتينها انما ظهرت في مدة بني عبد المومن وكانوا يجلبون لها صناع الاندلس من جزيرتهم وذلك مشهور
معلوم الي الان ومدينة تونس بافريقية قد انتقلت اليها السعادة التي كانت في مراكش بسلطان افريقية الان ابي
زكريا يحيى بن ابي محمد بن ابي حفص فصار فيها من المباني والبساتين والكروم ما شابهت به بلاد الاندلس
[illegible] صناعه من الاندلس وتماثيلها التي يبني عليها وان كان اعرف خلق الله باختراع محاسن هذا الشان فانما
اكثرها من اوضاع الاندلسيين وله من خاطره تنبيهات وزيادة ظهر حسن موقعها ووجوه صنايع دولته
لا تكاد تجد هم الا من الاندلس فصح قول ابن غالب انتهى قال الحميدي انشد بحضرة بعض ملوك الاندلس
قطعة لبعض اهل المشرق وهي ٥

وما ذا عليهم لو اناخوا فسلموا ٥ وقد علموا اني المشوق المتيم
سروا ونجوم الليل زهر طوالع ٥ على انهم بالليل للناس انجم
واخفوا على تلك المطايا مسيرهم ٥ فنم عليها في الظلام التبسم

فافرط بعض الحاضرين في استحسانها وقال هذا ما لا يقدر اندلسي على مثله وبالحضرة ابو بكر يحيى بن هذيل فقال بديها

عرفت بعرف الريح اين تيمموا ٥ واين استقل الظاعنون وخيموا
خليلي ردا بي الي جانب الحمى ٥ فلست الي غير الحمى اتيمم
ابيت سمير الوجد من كلما ٥ وسادي قتاد او ضجيعي ارقم
واحور وسنان الجفون كانه ٥ قضيب من الريحان لدن منعم
نظرت الي اجفانه والي الهوى ٥ فايقنت اني لست منهن اسلم
كما ان ابراهيم اول نظرة ٥ راي في الدراري انه سوف يسقم

انتهى ومن كلام ابن بسام صاحب
الذخيرة في جزيرة الاندلس اشراف عرب المشرق افتتحوها ٥ وسادات اجناد الشام والعراق نزلوها
فبقي النسل فيها بكل اقليم ٥ على عرق كريم ٥ فلا يكاد بلد منها يخلو من كاتب ماهر ٥ وشاعر قاهر ٥ وذكر ان ابا علي
البغدادي صاحب الامالي الوافد على الاندلس في زمان بني مروان قال لما وصلت القيروان وانا
اعتبر من امر به من اهل الامصار فاجدهم طبقات درجات في العبارات وقلة الفهم بحسب تفاوتهم